

الشمس والقمر

قصص قصيرة للصغار

تأليف

شانوان شمايد

ترجمة وتقييم

خديجة خطاب

رسوم

محمد قطب



الهيئة المصرية العامة للكتاب

١٩٩٠

شمسی و قمری

ہانی ونہی

خدیجہ خطاب



للصغار .. والكبار أيضا !

هذه القصص القصيرة للصغار ، اخترت لها عنواناً « الشمس والقمر » استوحيته من قصتين من قصص المجموعة ، لأن المؤلفة « شانوان شمايد » لن تضع للمجموعة عنواناً .

وبرغم أن القصص كتبت للصغار . ولا أقول للأطفال – إلا أنها تصلح تماماً للكبار . . فقد قرأتها وتأثرت بها – لما فيها من حكمة وموعظة – قبل أن أفكر في ترجمتها ؛ ولم أشرع في الترجمة إلا بعد أن « حكيتها » لصغيري « هاني ونهي » وشعرت باستجابتهما وانفعالهما وتفاعلها . .

ومن خلال صغيري رأيت أن أقدم هذه القصص لكل الصغار في مصرنا وفي وطننا العربي أيضاً . . ومن خلال رأيت أن أقدمها للكبار كذلك ؛ فما نقرأه قد لا يطلع عليه صغارنا ، أما ما يقرأه صغارنا فنطلع عليه نحن بالضرورة . .

وأنا على يقين من أن المعرفة والثقافة والمتعة والفائدة ، متوفرة في هذا الكتاب لكل من يقرأه صغيراً أو كبيراً ، خاصة وأن الفنان « محمد قطب » قد أضاف إليه وأضفى عليه من سمو فنه ، إخراجاً وألواناً ولوحات ورسومات ، جعلته بحق جديراً بالقراءة والفرجة والاطلاع !

خديجة خطاب

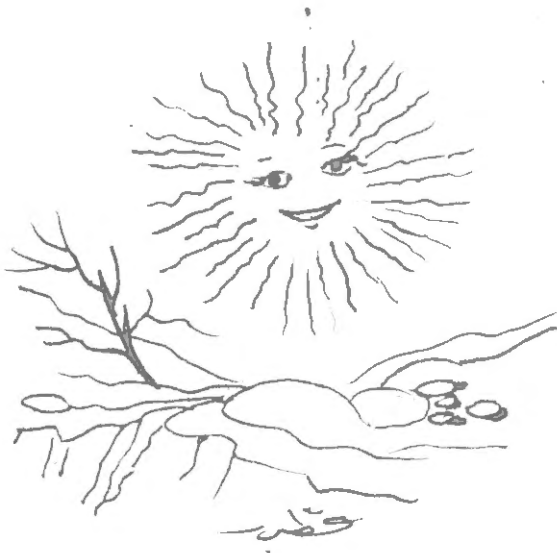
(١)

الشمس

عند هبوط الليل ، وبعد يوم من العمل الشاق في الحقول ، عادت الأم الشجاعة إلى بيتها ، بصحبة ولديها عقب توقفهما لوداع والدهما المتجه في هذا اليوم إلى المدينة .
وأثناء فتحهما باب البيت أسعدتهما رؤية المصباح المضيء فوق المائدة ، فالأطفال الصغار لا يحبون الظلام .
صاح الصغير وهو يرى الضوء قائلاً : « يا للسعادة ! من الذى أضاء المصباح إذن ، فلم يكن بالبيت أحد ؟ ! » .
ردت الصغيرة قائلة : « من يكون إذن إن لم يكن والدنا ، فلا بد أنه عاد من المدينة قبل عودتنا ! » .
واندفع الاثنان إلى الغرفة المجاورة تغمرهما السعادة فوجدا والدهما الذى أخذهما بين ذراعيه .
وفى اليوم التالى ذهبت كل الأسرة إلى غرفة كبيرة لتنقية العلف ، كان اليوم صحوً ، شمس مشرقة رائعة وأخذ الصغيران يصيحان وهما يلعبان : « يا لها من شمس جميلة ! » .

سألها الأب : « قولاً لي يا صغيرتي ، هل يمكنك أن
تخمننا مثلما فعلتما أمس ، من الذي أضاء من أجلكما هذا
النجم الرائع البراق ؟ » .

أجابت الصغيرة : « الله ، بكل تأكيد ، هو وحده
القادر على إضاءة هذا المصباح الضخم في قلب السماء » .
وأكد الصغير قول أخته « طبعاً ، فالله هو الذي خلق
الشمس والقمر والنجوم ، كما خلق الزهور والأشجار وكل ما
يحيط بنا » .





(٢)

القمر

كان الأب قد ذهب إلى المدينة مع طفله الصغير ، ولما تأخرا في العودة ، خرجت الأم والإبنة للقاءهما وبعد أن قطعتا مسافة طويلة ، وبعد أن أعياهما الاضطراب ظهر المسافران في الأفق .

وعندما شاهد الصغير علامات الاضطراب على وجه أمه صاح قائلاً : « لم يواجهنا أى خطرياً أمه ، فقد أضاء القمر طريقنا منذ غادرنا المدينة حتى هنا » .

فصاحت الصغيرة قائلة : « ونحن أيضاً ، لم يتركنا القمر لحظة واحدة منذ غادرنا باب البيت حتى هنا » .

فرد الصغير قائلاً لأخته : « لا تقنعي بذلك ، فكيف يمكن أن يسير القمر من القرية إلى المدينة وهو يسير في الوقت نفسه من المدينة إلى القرية ، هذا مستحيل ! » .

قال له الأب : « كلا ، كلا يا بني ، إنك تقول هذا لأنك لازلت صغيراً حتى تدرك كيف يتم ذلك الذى أدركه أنا بحكم سنى ، ولا عجب ففى الحياة ظواهر كثيرة تبدو

مستحيله حتى لمن هم أكبر منى سنأ ، وحتى للعلماء أنفسهم ،
فنحن نرى مستحيلاً ما يعجز فكرنا المحدود عن فهمه ، لكن
لا شيء يستحيل على إرادة الله . ولذلك فعلى كل إنسان
مؤمن أن يؤمن وبدون شك بمعجزات الله التى تبدى
أمامه » .



(٣)

النجوم

قال الفتى لأخته الصغيرة ذات مساء : « أنظري كم يتلألأ نجم الليل في علاه ، إنه ولا شك أجمل نجم في السماء » .

قالت الصغيرة : « لا شك أنه جميل ، لكنى أرى أن نجم الصباح أكثر تلالؤاً » .
فرد الفتى بقوله : « ليس هذا ما أرى » .

واشتبك الشقيقان في معركة كلامية ، وحتى ينهيا المعركة ، ذهبا إلى والدهما يطلبان منه معرفة أيهما على حق .
قال الأب : « كلاكما خاطيء فنجم الصباح الذى تشاهدانه مع الفجر هو نفسه نجم المساء الذى تشاهدانه فى الليل » .

وأضافت الأم قولها : « إذا كان نجم الصباح يبدو أكثر بريقاً وتلالؤاً ولمعاناً فلأنكما تشاهدانه بعيون متيقظة ، فبعد ليلة جميلة ، كل شىء يبدو جميلاً مع أشعة النهار الأولى » .
إن الاستيقاظ المبكر ينعش وينشط ! .



(٤)

قوس قزح

تأمل الفتى الصغير قوس القزح رائع الجمال الذى كان يرسم علامات فى الأفق وهو يقول : « لم أر فى حياتى أجمل من هذه الألوان ، وبهذا العدد الكبير ، وهى تمتد من الصفصاف العجوز هناك على حافة النهر حتى الحديقة الواقعة خلف البيت . إنها تلون ما يصادفها ، أما القطرات التى تسقط من فوق أوراق الشجر فيمكننى أن أستخدمها فى الرسم ، ولذلك سأجمعها فى إنائى » .

وجرى الفتى الصغير نحو الأشجار وأخذ يهز فروعها ، ولكنه فوجئ بأنه يجمع فقط قطرات غير ملونة من الماء . عاد إلى البيت مبتلاً مكدوداً . وعندما سأله والده عن السبب ، قص عليه مغامرته .

فقال له الأب : « إسمعنى جيداً يا بنى ، بدت لك قطرات الماء ملونة من بعيد لأنك كنت ترى فيها انعكاسات أشعة الشمس ، ولكنها لم تكن ملونة أصلاً . وهذا ما يحدث فى الحياة ، فما كان يبدو لنا على البعد مليئاً بالسحر ، يصبح لا معنى له عندما نخبره عن قرب . فاحذر المظاهر الخادعة ! » .



الراعى السعيد

ذات صباح صحو من أيام الربيع ، أخذ الراعى السعيد يغنى بصوت مجلجل وهو يرمى خرافه فى وادى الزهور أسفل الجبال المتوجة بالغابات الخضراء ، وكلما نظر إليها واصل غناؤه . سمعه أمير كان يصطاد فى هذه المنطقة فاستدعاه ، فأجابه الراعى الصغير دون أى اضطراب : « ولماذا لا أكون سعيداً ؟ إن أمير البلاد ليس أغنى منى بكل تأكيد » .

قال له الأخير : « حقاً إحصى لى إذن كل ثرواتك » .
أجابه الراعى الصغير : « بكل سرور ، عندى أولاً ، الشمس التى تشرق ولى يدان مثل يديه لست على استعداد لبيعها بطائل الأموال ، وعينان أعتبرهما كنزين . ولدى كل ما أرغب واشتهى حتى أشبع وأحقق فى كل عام بعملى دخلاً يفوق ما أنفقه . فهل تستطيع القول بأن الأمير أكثر منى ثراءً ؟ » .

فضحك الأمير وقال للراعى الصغير بعد أن كشف له عن شخصيته : « عندك حق أيها الراعى الشجاع ، إبق على حالك ولا تتخل عن سعادتك ، فالقناعة هى التى تجلب الثراء » .

(٦)

البستاني الخير

عرف البستاني العجوز الطيب بكرمه الزائد نحو
الفقراء . فكم من مرة ضحى فيها بكل ما ادخره من مال
ليشترى به احتياجاته أو يسعد به نفسه . فقد كان يقول في
كل مرة : « سأحصل على تفاحة إضافية من وراء السياج » .
سمع أحد الأشخاص هذه العبارة فطلب منه
تفسيرها . فقال له البستاني : « في أحد الأيام سمحت
لمجموعة من الصغار بالدخول إلى البستان وأكل الفاكهة
الطازجة بشرط ألا يضعوا شيئاً منها في جيوبهم . ولكن لم
يقتضوا أكثرهم مكرراً ودهاءً أن يلقي خارج السياج بأطيب
ثمرات التفاح حتى يستولى عليها عند الخروج من البستان .
غضبت منه ومنعته من المجيء بعد ذلك مع زملائه ، وكما
تقتض الفراشة في كل مرة من النبات السام عسلاً شافياً ،
استخلصت أنا أيضاً من هذه الحديقة درساً مفيداً . وقلت
لنفسى لماذا لا يتصرف الناس على نحو ما فعل هذا الصغير .
فنحن نملك كل طيبات هذا العالم ولا نستطيع أن نحمل معنا

شيئاً إلى العالم الآخر . وإنما أعمالنا الصالحة وحدها هي التي
سنلقاها فيما وراء القبر حيث ترد لنا الجزاء . وهكذا وفي كل
مرة نفعل فيها حسنة ، إنما نلقى إلى الحياة الأخرى بثواب
للآخرة .

ولندكر أنفسنا جميعاً بهذا القول المأثور :
أن نعطي للفقراء ، إنما نرضى الله .



(٧)

الصانع الماهر

كان الصانع الماهر يكسب أموالاً كثيرة من عمله وجهده ، لكنه لم يكن يحيا حياة سهلة ، فنادراً ما كان يمنح نفسه الراحة .

سأله خراط من الناحية ذات مرة : « ماذا تفعل إذن بكل ما تكسبه ؟ » .

فقال له النجار : « أحتجز جزءاً لأسدد به ديوني وأدخر الجزء الآخر هو وفوائده » .

فعلق الخراط بقوله : « إنك تهزل ، فلا أنت تنفق كثيراً حتى تتجمع عليك الديون ولا أنت تكسب كثيراً حتى تدخر رأسمالٍ يُعطى أرباحاً » .

رد عليه النجار قائلاً : « أنت المخطيء ، وسأثبت لك أنى على حق . فأنا أعتبر كل ما أنفق على والدئ منذ يوم مولدى ديوناً مقدسة كما أعتبر كل ما أنفقته أنا على ابنائى رأس مال مربحاً . وبهذا أبريء ذمتى نحو والدئ من ديونى الأولى وأؤكد من أن ابنائى « سيردون لى فيما بعد فوائد رأس المال الذى أنفقه فى تربيتهم » .

(٨)

الأم الحانية

تلقت فتاة صغيرة ذات يوم رسالة من صديقة عائلية لها
تغدق فيها مديحها لدرجة أن أمها أظهرت الاستياء
والانشغال .

رأت الفتاة الدموع تلمع في عيني أمها فصاحت :
« أوه ! يا أمي العزيزة ، لماذا تتألمين ؟ تكفى ، أوكد لك ،
دمعة واحدة من دموعك لتمسح حتى آخر حرف كلمات
المديح الخطرة هذه » .

فاحتضنت الأم ابنتها من فرط السعادة التي أدخلتها على
فؤادها هذه الكلمات الطيبة وأعطتها على الفور خاتماً مرصعاً
بالماس الذى يتلألأ فى ضوء الشمس مثل قطرات ماء الورد .
وقالت الأم لابنتها فى الوقت نفسه : « أرجو أن تعدينى
بأن تلقى نظرة على هذا الخاتم كلما أغدق أحد بالمديح
عليك ، وتخيل دموع أمك وهى تبرق مثل الماس » .

(٩)

السنونو

عندما تعود مجموعات طائر السنونو الساحر في الربيع ،
تطير مباشرة في اتجاه عششها القديمة حيث تستقر في سعادة
بالغة .

اتخذ زوج من السنونو مكانه في العش الذي بناه في العام
الماضي داخل ممر إحدى المزارع .

فقالت المزارعة لأبنائها : « لا تطردوا هذه العصفير
الجميلة ولا تزعجوها في ذهابها وعودتها . فمن يطرد السنونو
من بيته ، يطرد السعادة في الوقت نفسه . أنظروا إلى جارنا ،
هدم العشش التي كانت تعلو مخزنه وكسر البيض بلا رحمة .
فماذا حدث له ! أخذ يأتى بأفعال سيئة منذ ذلك اليوم ،
وانتهى به الأمر إلى تدمير نفسه تماماً » .

وبعد أن استمع الصغير باهتمام إلى توصيات أمه
وتساءل كيف يتسبب موت السنونو في تدمير جارهم ، توجه
إلى والده يسأله فقال له الأب : « هذا أمر طبيعي ، فإذا كان
جارنا قد طرد السنونو ، فلأنه لم يكن يرغب في الاستيقاظ

مبكراً بسماع تغريدها . فهو في الواقع كان يقضى معظم الليل خارج البيت ، وكان ينام في الصباح في الوقت الذي كان ينبغي عليه فيه أن يذهب إلى العمل . وبطرده للسنونو ، أضاع من كان في إمكانه تذكيره بواجبه . وهكذا ترك في نفسه رويداً رويداً للتراخي والكسل : فاستدان بحيث حل الخراب في بيته محل السعادة » .





(١٠)

العصفور

قال الطفل الصغير لأخته الصغيرة : « أنظري هذا
العصفور الرائع برأسه الأسود وهو يقف على شجرة التفاح ،
سترين كيف سأمسك به » .

وتسلق الشجرة ليضع عليها فخاً . ثم اختفى
الصغيران في جب مجاور لمراقبة العصفور .

ووقع العصفور الصغير بالفعل في الفخ . وفي لمح البصر
تسلق الطفل الصغير الشجرة ، لكن في اللحظة التي اقترب
فيها من العصفور ، كسر فرع الشجرة وسقط الطفل الصغير
بعنف على الأرض .

ونفض بعد أن تهشمت ذراعه ، بينما انتهز العصفور
فرصة انفتاح الفخ واستعاد حريته .

صاحت الصغيرة : « أخى المسكين ! من الأفضل ألا
تسلق بعد ذلك الأشجار للإمساك بالعصافير ، وإلا ستكسر
ذراعك يوماً وساقاك » .

فقال الطفل الصغير : « أوه ! ليس هذا ما سيمنعني من تسلق الأشجار ، ولكن حذر ذلك العصفور وحده هو الذي سيمنعه من الوقوع بعد ذلك في الفخ ، بعد أن تحرر الآن من سجنه » .

فقالت الصغيرة : « صحيح ! الحيوان الصغير هذا أعقل منك إذن ، فهو يستفيد من الخطر الذي زال عنه ، بينما لا تخشى أنت رغم جرحك من أن تعرض نفسك مرة أخرى ، ربما للموت ! » .



(١١)

الحجل

عثر صبيان على عش حجل فى حقل قمح عند طرف
إحدى الغابات . وأخذوا البيض فى الوقت الذى أمسكا فيه
بالعصفور الذى كان يحتضن فيه بيضه .

فقال الأكبر سناً : « خذ البيض ، فهو ينفع أكثر من
الحجل الذى سأحتفظ به لنفسى .

فرد عليه الأصغر سناً قائلاً : « خذه أنت ، فأنا أحب
أن أحصل على الحجل » .

لكن الأكبر لم يشأ أن يخضع ، فدخل فى مناقشة
صاحبتها على الفور ضربات يد وضربات أقدام .

ونج عن ذلك ما يسهل تخمينه : أنقذ الحجل نفسه
وتكسر البيض . فأدركا متأخرًا جدًا حماقتها وفهما كيف كان
والداهما على حق عندما قالا :

« من المفيد الاقتناع ببيضة أكثر من التعارك على
بقرة » .

(١٢)

البغاء

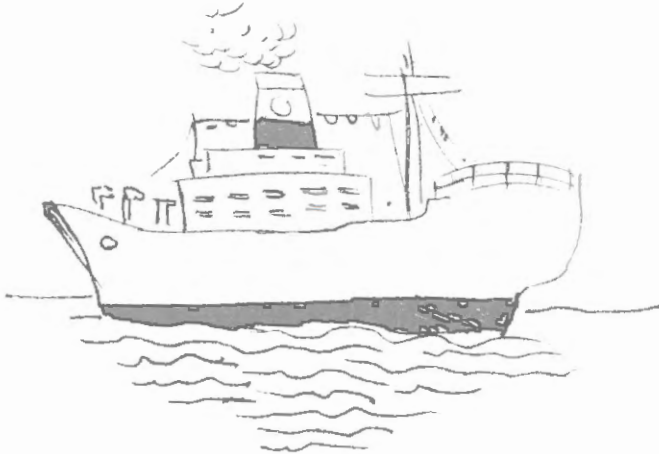
جلب بحار عجوز من مقاطعة بعيدة ، ببغاء له ريش
متعدد الألوان وملون . وعد به ابنة التاجر حتى ينفق بثمنه
على سفره .

وفي أثناء رحلته البحرية ، في طريق عودته إلى بلده ،
أصيب الملاح بأزمة صدرية حادة ، أعفى على أثرها من
مزاولة أى عمل على ظهر المركب . وانتهاز فرصة فراغه ليعلم
البغاء بعض الكلمات فيدخل السعادة بالتالى على الفتاة
الصغيرة .

وما ان ترك المركب حتى هرع ليقدم هديته . وتعجب
الأهل والفتاة عندما سمعوا العصفور يصيح فجأة قائلاً :
« تحيا الصغيرة فاتى ! » ولكنه ما لبث أن غرق في السعال وهو
يلهث بطريقة هزلية لدرجة أن الجميع انفجروا ضاحكين .

قالت الصغيرة : « يا له من حيوان غبى ! ألم يكن
ليفهم أنه كان عليه أن يردد فقط كلمات سيده دون أن يقلد
سعاله ! » .

فقلت الأم : « فليبعد هذا الحيوان الأبله ! » .
فرد الأب قائلاً : « ليس أبلهاً إلى هذا الحد ، فلقد
أعطانا بذلك درساً جميلاً وهو يذكرنا أننا أيضاً نقلد الشر كثيراً
بدلاً من الاكتفاء بتقليد ما هو خير وما هو عدل ! » .





التوت

عبر جندي عجوز ، له ساق خشبية ، ذات يوم إحدى القرى بصعوبة بالغة . أحس في الحال بضيق شديد ، اضطره إلى العدول عن مواصلة طريقه والدخول إلى أحد المخازن ، لمحتة فتاة صغيرة من خلف الباب وهونائم يتألم ، أعطته قطعة من ذات الخمسة قروش ، فهي تتمتع بقلب غاية في الطيبة . وعادت إليه في اليوم الثاني والأيام التالية وكانت تقدم له في كل مرة القطعة ذات القروش الخمسة .

ولما كانت هذه الفتاة ابنة لصانع سلال فقير ، أخذ الجندي الشريف يتساءل بقلق عن الطريقة التي يمكن أن تحصل بها على هذه النقود .

وسألها ذات مساء : « عزيزتي الصغيرة قولي بصراحة من أين تلك النقود التي تحضرينها لي ، فهي ليست من والدك لأنها ، كما أعلم ، فقيران تماماً .. وأنا أفضل أن أموت جوعاً ، على قبول مليم واحد يضطرك إلى الإحمرار هكذا .

قالت الفتاة : « أوه ! لا تخش شيئاً ، كسبت هذه النقود بشرف ، كما سترى ، فعند عودتي من المدرسة أمر بغابة صغيرة مليئة بالتوت ، أجمع منه كل يوم ما يملأ سلة صغيرة وأبيعه على الفور في السوق مقابل خمسة قروش . ويعلم والدائ ذلك ويشجعاني عليه . فهما دائماً ما يقولان لى : « يوجد أيضاً أناس أكثر منا فقراً ، وعلينا أن نساعدهم قدر المستطاع » .

تأثر الجندي العجوز وهو يستمع إلى هذه الكلمات ، لدرجة أنه لم يستطع أن يحبس دموعه : فقال : « أيتها الفتاة الشجاعة ، باركك الله أنت ووالديك ، لمشاعركم وإحسانكم ! » .

بعد فترة قصيرة ، مر بالسوق فى موكب كبير ضابط عظيم ، تغطى صدره النياشين . توقف بفندق القرية حتى تستريح جياده ، وهنا سمع حكاية الجندي المريض ، فذهب إليه على الفور ، وعلم منه بكرم الفتاة الصغيرة .

صاح الضابط : « كيف وجدت فتاة فقيرة ، الطريقة لعمل هذا من أجلك ! سيكون مخجلاً إذا لم يستطع قائدك القديم أن يفعل أكثر من ذلك . أريد أن تنقل على الفور إلى الفندق لتلقى الرعاية التى تحتاج إليها » .

وما أن استقر الجندى ، بناء على أوامر الضابط فى حجرة
جميلة ومريحة ، حتى توجه الضابط إلى الأسرة الفقيرة .

قال للفتاة الصغيرة وهو فى غاية التأثر : « عزيزى
الصغيرة كرمك أثربى حتى انحدرت دموعى وانتعش قلبى ،
وفى مقابل كل قطعة نقود أعطيتها للجندى ، سأعطيك قطعة
ذهبية .

فصاح أفراد تلك الأسرة الشجاعة غير مصدقين :
« أوه ! هذا كثير ، كثير جداً ! » .

فعلق القائد بقوله : « كلا ، كلا ، ما هذا إلا مكافأة
بسيطة ، بالقياس إلى المكافأة التى يدخرها الله فى الحياة
الأخرى للمحسنين » .



(١٤)

(الكرز)

كانت الفتاة ابنة لأسرة بالغة الثراء . كانت لها حجرة مزينة بفراش جميل ومجهزة بأثاث جذاب . كان منظر هذه الحجرة سيكون مريحاً تماماً لو . . لو لم تكن دائماً في فوضى مخيفة . وكانت أم الفتاة قد أكثرت من النصائح والعتاب بدون فائدة .

وفي يوم من أيام الأحد بعد الظهر ، عندما أنهت الفتاة زيتها وتهيأت للخروج مع والدتها ، أحضرت جارتها الصغيرة سلة مليئة بحبات الكرز الأسود ، الكبيرة والشهية . بعد أن شكرت الفتاة صديقتها ، أخذت تبحث عن مكان تضع فيه السلة ، ولكنها لم تجد ، فالحجرة كانت مليئة بأشياء مبعثرة هنا وهناك ، تحت المقاعد وفوق الموائد . وضعت الفتاة سلة الكرز بالصدفة على مقعد وثير جميل مغطى بالحرير الأزرق ، وخرجت مع والدتها .

وعند عودتها في المساء ، كانت مجهدة ، فألقت بنفسها وهي تدخل إلى حجرتها على أول مقعد قابلها .

ولكنها وقفت بسرعة وهى تطلق صرخة فزع . فلم
تجلس فوق سلة الكرز التى تلقتها بعد الظهر ، جلسة
مريحة ! .

وجرت أمها على صرختها لتحقيق من الكارثة . كانت
كل حبات الكرز قد عصرت ، وسكب العصير الأسود ليس
فقط على حرير المقعد الجميل ولكن أيضاً على ثوبها الأبيض ،
وهو ثوب جميل وجديد من الصعب أن تجد مثله .
زجرت الفتاة بشدة بعد أن عوقبت تماماً على الفوضى
التي تعيش فيها .



(١٥)

(العنب)

انتهزت الفتاة الجو الصحو ليوم جميل من أيام بداية
الخريف لتقوم بنزهة . وعند عودتها فوجئت تماماً بوجود سلة
على مكتبها مليئة بعناقيد العنب الرائعة : بعضها سوداء
مخملية والبعض الآخر ذهبية وشفافة كأشعة الشمس .

سألت مفتونة : « من أين عناقيد العنب الجميل هذه ،
ولماذا وضعت في حجرتي ؟ » .

قالت الأم : « إنها لك . صديقتك ، التي يملك والداها
حديقة غنية بالفواكه ، وجدت سعادة في أن ترسل لك أولى
بشائر العنب الناضج » .

فصاحت الفتاة : « يا لها من صديقة طيبة وساحرة ! كم
أنا سعيدة لأنها فكرت في ، أريد أن أكتب لها فوراً
لأشكرها . وأريد أن أتمكن من عمل مفاجأة . مماثلة لها
بدوري » .

فقلت الأم : « كم أنا سعيدة يا بنيتي أن أراك عارفة
لجميل صديقتك ، ولكنك تسبين لى فى الوقت نفسه شيئاً
من الحزن . فكرى فى الفاكهة الكثيرة التى جنيتهها بالفعل من
حديقتنا منذ طرحت التوت حتى اليوم ! ومع هذا لم أسمعك
أبداً تعبرى عن عرفانك لجميل الله . أليست كل فاكهة هبة
من هباته الطيبة ، لماذا لا تلاحظين أيضاً كرمه ولماذا لا
تبحثين عن إسعاده بدورك ؟ لا تنسى منذ الآن أن تشكره
كل يوم على عطاياه لك » .

* * *



(١٦)

السوسن

كانت الفتاة الصغيرة ، ابنة بائع الجرائد الفقير ، مريضة . وكانت ابنة عمدة القرية ، تجيء كل يوم لرؤيتها وتقديم بعض الحلوى لها .

وعندما شفيت المريضة الصغيرة ، لم تنس فضل صديقتها عليها .

وقالت لنفسها : « فقط لو منحني الله القدرة على تقديم خدمة لهذه الأنسة الطيبة ، كم سأكون سعيدة ! » .

وما أن علمت أن صديقتها تفضل السوسن ، حتى أخذت تذهب كل يوم إلى الغابة تقطف بشائر الزهور الأولى . وفي أوائل شهر مايو ، لمحت أخيراً باقة كاملة تحت شجرة بلوط عجوز . قطفتها ثم جلست تحت الشجرة لتنسق باقة كبيرة . وكانت على وشك الانتهاء من تنسيقها عندما ارتفع صوت صاحب في غابة مجاورة . أنصت الفتاة .

رجل كان يقول : « سأتمكن أخيراً من الانتقام من العمدة الذي أدخل أخى السجن ، معى مفتاح منزله الذي تركته الشغالة ببلاهة في الباب » .

فأجاب رجل آخر : « عظيم ، نقتل العمدة وزوجته وابنته الليلة ونسرق كل النقود التي نعثر عليها » .

وقفت الفتاة بسرعة وقد أفرعها هذا الكلام ، ودون أن تحدث ضوضاء ، سلكت مضيئاً مختصراً يؤدي إلى طرف الغابة .

وأخذت تجرى بعد ذلك لتعطي الزهور لصديقتها وتحكي لها ما سمعته . أما العمدة ، الذي نبهته الفتاتان الصغيرتان بسرعة ، فعين مع هبوط الليل رجالاً مسلحين عند مدخل البيت . وعندما جاء السفاحون ، في منتصف الليل ، ليفتحوا الباب . قبض عليهم في الحال وأرسلوا إلى السجن .

في اليوم التالي قال العمدة لابنته : « عزيزتي الصغيرة ، أنظري أي بركة حلت على بيتنا بإحسانك . ففي مقابل ما فعلته مع صديقتك ، أتاح الله للفتاة العزيزة أن تنقذ حياتنا ؛ وهكذا يكافئ ، على حسب وعده ، أقل حسنة بأضعاف مضاعفة » .

(١٧)

الثوب الجديد

طلبت الأم من الحائكة تفصيل ثوب جميل من الساتان الأزرق المخطط لابتها . فلما جاءت الحائكة بالثوب فى ليلة العيد ، أرادت الفتاة من فرط سعادتها أن تجربه ، وارتدته بالفعل .

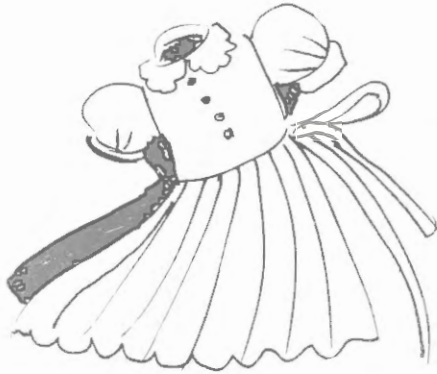
قالت الأم : « اذهبى يا بنيتى لإحضار كأس من الشراب الساخن يدفىء هذه السيدة الفاضلة ، فالجوشديد البرودة هذا المساء ، لكن خذى معك شمعة حتى لا تخاطرى بالاصطدام بشيء فى المطبخ » .

جرت الفتاة لتبحث عن الشراب وعادت لتقدم كأساً صغيرة للحائكة . لكن ما أن وضعت الحائكة الكأس على شفتيها حتى أعادت السائل رغماً عنها دفعة واحدة . ويا للكارثة ! كان السائل حبراً ! .

فلما لم تنصت الفتاة لنصائح أمها ، ولم تحمّل نفسها مشقة إشعال شمعة ، فقد أخطأت فى الظلام رؤية الزجاجات .

ولم تكتف بمحاولة التسبب فى تسميم الحائكة ، ولكن
ثوبها نال جزءاً من الخبر الملقى . ويا لها من كارثة ! لم تتمالك
الفتاة المسكينة دموعها .

قالت أمها : « هذه هى يا صغيرتى المسكينة نتيجة
عصيانك ، تلف ثوبك ولن تتمكن الحائكة من صنع ثوب
آخر لك بدلاً منه ، وستضطرين لقضاء العيد بثوبك
القديم .



(١٨)

المعطف القديم

وفي وقت من أوقات الشتاء البارد الممطر ، توقف بعض الجنود خلال الحرب الأخيرة في قرية للبحث عن مرشد .

تولى بائع جرائد فقير مهمة اصطحابهم ، لكنه قبل أن يرحل معهم ، طلب من الفلاحين إقراضه معطفاً يقيه من الريح والمطر الشديدين .

لم يهب أحد لمساعدته ، فيما عدا عجوزٍ حل بالقرية منذ فترة وجيزة ليعمل بالحدادة ، هو الذي رأف بحال بائع الجرائد وأعطاه الثوب الوحيد المستعمل والمرقع الذي يملكه .

صحب المرشد الجنود ، وفي اليوم التالي وصل إلى القرية ممطياً جواده ضابط شاب وبديع يرتدى زياً رائعاً ، سأل عن الرجل الذي أعطى معطفه للمرشد ، فأوصله البعض حيث يقيم العجوز .

صاح العجوز وهو يرتقى بين ذراعى الضابط الشاب :
« شكراً لله ! إبنى العزيز ! » .

كان العجوز قد فر أثناء الحرب ، بينما ظل ابنه يحارب في صفوف الجيش تأدية لواجبه ، ففقد كل منهما الآخر ، إلى أن تعرف الإبن على معطف والده وهو ينظر صدفة إلى ما يرتديه المرشد الذى صحب جنوده .

وهكذا كان لقاؤهما مؤثراً ، لدرجة أن الحاضرين مزجوا دموع فرحهم بدموع الأب والإبن .

وبعد ليلة كاملة قضاها الإبن مع أبيه ، رحل الإبن مرة أخرى ليس قبل أن يعطيه مبلغاً كبيراً من المال يكفى احتياجاته لفترة طويلة .

أخذ أبناء القرية يتهايمسون : « لو لم يرأف العجوز بحال المرشد ، لما رأف الله به ولما بعث إليه بابنه الذى أنقذه من البؤس » .

إن الله رؤوف رحيم بكل رؤوف رحيم ! .

(١٩)

الحذاء

لم يكن راعى الماعز يحصل على أجر كاف ، لدرجة أنه لم يتمكن من شراء حذاء يقيه برد الخريف وأمطاره الكثيفة .

وبينما هو يراقب الماعز ذات يوم ، خرج أحد اللصوص المعروفين من الحقل وقال له : « أنت تمارس هنا مهنة تعسة ، إن مهنتي أفضل بكثير ، فإذا أردت أن تساعدني ، أعطيتك حذاء جيداً لا يجعلك تشعر على الإطلاق ببرودة الطين اللاصق بقدميك العاريتين » .

فقال له راعى الماعز : « أفضل بؤسى على ثرائك ، وأحب أن أتألم من البرد طوال حياتي وأن أضع قدمي في الطين دون أن ألطخ ضميري بما تأتى به من أفعال . فأنا فقير حقاً ، ولكنى شريف ، هذا هو شعارى » .

(٢٠)

مسمار الحذاء

كان صانع الأحذية يعمل ليل نهار بهمة ونشاط ،
لدرجة أن الناس أطلقوا عليه هذا الوصف « بدون راحة » .

وكان هؤلاء الناس يسعدون برؤيته وهو يضرب الحديد
بقوة ويجذب الخيوط من كل اتجاه ، حتى إن كثيراً من المارة
كانوا يتوقفون لمشاهدته ومن بينهم صبي من أثرياء الحى .

وذات مرة قال صانع الأحذية لهذا الصبي : « من
الأفضل لك أن تتعلم كيف تدق مسماراً فى حذاء ، من أن
تضيع وقتك فى الثرثرة ، فمن يدري ربما احتجت يوماً
للعمل » .

راقت الفكرة للصبي ، فجلس إلى السندان واستطاع
بفضل توجيهات صانع الأحذية أن يتقن العمل بطريقة
بارعة .

وبعد فترة وجيزة ، فقد الصبي أباه و ثروته معاً . وكان
عليه أن يترك قصر والده والمدينة أيضاً ، ويذهب للبحث عن
عمل يتعيش منه فى مكان آخر .



وعند مروره باحدى المدن ، علم أن عدداً من محلات الأحذية مكلفة بصنع آلاف الأحذية للجيش ، تعاني من نقص المسامير الضرورية . فذهب على الفور وعرض إمكانية تصنيع هذه المسامير محلياً تجنباً لصعوبة الحصول عليها من مدن أخرى . وكان طلبه الوحيد ورشة يعمل وقيم فيها . أجابه أصحاب هذه المحلات إلى طلبه ودفعوا له مقابل سخيلاً لعمله .

وتذكر صانع الأحذية الشاب قيمة ما تعلمه في الأيام السابقة ، وأخذ يردد قوله : « يا لها من سعادة ، أن تعلمت كيف أصنع مسماراً . فما أنذا أربح من مهنتي الجديدة أكثر مما كنت سأجني من ممتلكاتي ، تلك التي فقدت الآن قيمتها » .

مهنة نافعة أفضل من ثروة طائلة ! .

(٢١)

المرأة

كانت الفتاة الصغيرة سريعة الغضب ، وكانت أمها تحاول ، دون جدوى ، أن تجعلها تفهم خطورة ومخاطر هذا العيب .

وذات يوم ، كانت الفتاة تجلس أمام مكتبها الذى وضعت عليه مزهرية زهور جميلة . اقترب أخوها الأصغر بطريقة هوجاء ، فقلب المزهرية التى تحطمت إلى ألف قطعة .

وهكذا غرقت الفتاة الصغيرة فى غضب أسود ، خرجت عيناها من رأسها ، ونفرت عروق جبهتها حتى كادت أن تنفجر ، ففقدت صوابها .

اقتربت الأم منها ، دون أن تقول شيئاً ، ووضعت مرآة أسفل عينيها . لمحت الفتاة الصغيرة وجهها المكدر والمشوش بالكامل ، فانفجرت متتجة .

قالت الأم : « لعلك رأيت فى النهاية ، يا طفلى المسكينة ، قبح الغضب كله ، ويمكنك أن تدركى ، من

تشوه وجهك ، تشوه نفسك » .

أبدت الفتاة الصغيرة رغبتها في أن تتحسن ، ويفضل
محاولاتها المستمرة ، استعادت دماثة الطابع وسحر وجهها
الشاب .

فقد كانت أمها دائماً ما تقول لها : « تذكرى يا ابنتى أن
الوجه هو مرآة النفس ، تشوّه الرذيلة وتجمله الفضيلة » .



(٢٢)

العقد

اتجهت إحدى السيدات النبيلات بسيارتها مع اثنتين من بناتها إلى أحد قصور الأمراء المقامة في عمق الغابات . فقد كن مدعوات في حفل عرس وكن بطبيعة الحال في أبهى ثيابهن ، تتحلين بالأحجار الكريمة واللاّلىء .

عند مدخل الغابة ، لمست عربتهن الشجيرات عن قرب ، حتى شبك فرع مدبب بشعر إحدى الفتاتين ونزع عقد اللولى الذى كان يزينه .

وما أن رأت الأم هذا المشهد ، حتى أطلقت صيحة مروعة ، جعلت الحوذى يوقف العربّة ويهرول خارج كابينته ليساعد السيدات في البحث عن اللاّلىء .

كان الأمر يحتاج لأكثر من ساعة حتى يتم البحث . وكانت الفتاتان حزيتين وهما تفكران في تأخرهما عن موعد الحفل ، ولكنهما توقفتا عن الصعود إلى العربّة ، عندما أشار لهما بالتوقف ، حطاب قد تقطعت أنفاسه ويتمكن بصعوبة بالغة من الكلام .

قال الخطاب في النهاية : « سيداتي ، حمداً لله على الحادث الذي كاد أن يعترضكن . فبفضله ، وصلت في الوقت المناسب لكي أبلغكن أمر قطاع الطرق الذين يتربصون بكن في الغابة لسرقتكن . فما أن فوجئت بسرهم ، حتى هرعت لمقابلتكن ، ولكن كان عليّ القيام بمناورة كبيرة لكي أصل إلى هنا ، ذلك أن كل ركن في الغابة محاصر بقطاع الطرق . وبغير توقفك الاضطراري كنت سأصل متأخراً جداً ، وكانت ستنهب مجوهراتكن وربما تم قتلكن أيضاً » .

شكرت السيدة الرجل الشجاع ، ومنحته مكافأة كبيرة . وبعد أن أمرت الحوذي بالعودة ، قالت لابنتيها :

« أنظرا كيف يدبر الله كل الأمور . فقد كانت حياتنا معلقة بالعقد الذي كان يحمل لآلئكما . وكانت ستسلب مع المجوهرات في الوقت نفسه . إن الحادث الذي تسبب في الكثير من حزنكما كان فيه سلامتنا . اعترافاً إذن بأن الحوادث التي تزعجنا تؤكد هي أيضاً ، إذا استطعنا أن نفهمها ، فضل الله علينا جميعاً » .

(٢٣)

الوتر

عثر اثنان من المتسولين في طريقهما على وتر قديم ، أراد كل منهما أن يحتفظ به لنفسه . فنشأت بينهما مشاجرة مصحوبة بالصياح والصراخ . أمسك أحدهما بطرف الوتر وأمسك الثاني بالطرف الآخر ، وأخذ كل منهما يجذبه بكلتا يديه حتى يناله . وفجأة قطع الوتر ، وغرق المتعاركان في الوحل .

توقف أحد العابرين على هذا الضجيج وقال لهما وهو يضحك ساخراً من خيبة أملهما :

« هكذا تنتهى المعارك عامة ، يتم التراجع بعد أن يغطى الجميع بالخزى والهوان ، تماماً كما يغطيكما الوحل في هذه اللحظة » .

كان صِيبِي من الأشقياء ، بل كان لصاً أيضاً ، لأنه إذا لم
يختلس علناً ، استولى على كل ما يجده ، حتى لو عرف من هو
صاحب الشيء .

ذات صباح ، وهو يمر أمام مصنع حديد ، لمح سلسلة
جميلة على الرصيف ، ليس بعيداً عن الباب . وبعد أن تأكد
بنظرة خفية من أن أحداً لا يراه ، استولى على السلسلة .
ولكنه سرعان ما ألقى بها وهو يطلق صرخة ألم .

فقال له الحداد ، الذى اقترب منه مسرعاً : « خير
ما حدث ، فقد وضعت هذه السلسلة المتوهجة بحرارة
النار ، على الرصيف لكى تبرد . وأردت أنت أن تسرقها
فأصابتك حروق بالغة ، وهكذا عوقبت تماماً . فإذا أردت
الأنصاف بما هو أخطر من ذلك ، عليك أن تتجنب لمس
ما يخص الآخرين مثلما حاولت أن تتجنب دون جدوى لمس
الحديد المتوهج » .